

مفاهيم القرآن

(79) تكلّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لاتنتهي

هزيمتهم دون البحر، وإنّ الأزام لمعه في كنانته، وصرخ جيلة بن الحنب: (لألا بطل السحر اليوم) (1). إلى غير ذلك من الأحداث والوقائع، التي كشفت عن تأصل الرواسب الجاهلية في نفوسهم، وعدم تغلغل الإيمان والعقيدة في قلوبهم. حدّثي أنّنا نجد القرآن يشير إلى ذلك تعليقا على ما حدث ووقع منهم في معركة (أحد) إذ يقول سبحانه: (وَمَا مُحِمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَفِعُونَ مِنَ مَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْتَفَعِلَابُهُمْ عَلَى أَغْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَعِلَابُ عَلَى عَقَبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: 144). ويقول في شأن من راح يبحث عن ملجأ له فرارا من الموت: (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخْشَوْهُمْ يَطْمِنُوا بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) (آل عمران: 154). وصفوة القول: أنّنا لاننكر - في الوقت نفسه - وجود من بلغت عقيدته واستقامته حداً استوجب أن يتحدث الله عنه في كتابه بقوله: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَدَيْكُمْ) (التوبة: 111). بيد أنّ الأكثرية منهم لم تكن قد بلغت ذلك المبلغ من رسوخ الإيمان وعمق العقيدة، ولم يكونوا قد تخلّصوا تماما من رواسب الجاهلية. ويدلّ على ما ذكر من عدم تغلغل الإيمان في نفوس أكثرية الصحابة والمعاصرين للنبي صلّى الله عليه وآله وسلم بالإضافة إلى ما ورد من آيات; ما أخرجه أصحاب الصحاح والسنن، والمسانيد في هذا المجال من أخبار وأحاديث صحيحة. 1- سيرة ابن هشام 2: 442 - 444.